(٢) مشكلات حول اللغة

قبل أن تصبح لغتنا غريبة بيننا

(١) الحلم والواقع

منذ البداية أحب أن أخفف من شدة وقع العنوان المثير لهذه القضية ، وأن أنحى بعيدا السحب المظلمة التى تغشيه حتى يظهر النور الذى تحجبه معه الحقيقة التى لا نريد لها أن تغيب عن أعيننا ونحن نرقب الأفق البعيد ، وهى أن اللغة العربية لن تصبح فى أى يوم من الأيام غريبة بيننا ، وذلك لأن الله تعالى كتب لها البقاء وتكفل به حين قال سبحانه « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » . فاللغة العربية هى لغة القرآن ، والله يؤكد أنه كما نزله سيحفظه ، وهذا يعنى أن الله سيحفظ معه اللغه التى نزله بها ، وهذا وعد إلهى صريح ، ولن يخلف الله وعده، وآية ذلك أن هذه اللغة هى اللغة الوحيدة من بين اللغات القديمة كلها التى احتفظت بظاهرتى البقاء والاستمرارية منذ أن ظهرت على وجه الأرض حتى اليوم .

ظهرت اللغة الغربية على مسرح الحياة فى تاريخ لم يستطع العلماء تحديده على وجه الدقة، ثم تطورت وبلغت ذروة نضجها اللغوى فى العصر الجاهلى الأدبى إرهاصاً لنزول القرآن بها ، وكأنما أراد الله أن يهيئ لها كل الأسباب لتلقى الوحى الإلهى بها ، ثم نزل القرآن محققا لها أكبر عملية تنقية لغوية عرفتها على امتداد حياتها الطويلة ، حين خلصها من حوشية المعجم الجاهلى وبداوته ، وتحول بها إلى لغة مهذبة مصفاة صالحة لنشر الحضارة الإسلامية الجديدة، ثم مضت مع الحياة خاضعة لسنة التطور الطبيعى تحقق رسالتها الحضارية ، ولكنها لم تفقد مقوماتها الأصيلة ، ولم تتخل عن شخصيتها الثابتة، ولم تجتث جذورها العميقة الضاربة فى أعماق التاريخ فظلت ثابتة فى موقعها « كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء» ولم تتحول إلى لغة أثرية تحتل مكانها فى متاحف التاريخ كأكثر اللغات القديمة، وأيضا لم يضرب الله عليها « نوم الكهف » كما ضربه على بعض هذه